مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٧) العدد (١)
الإصدار الثالث والعشرون
٢٠٢٦ (٢٣-١)

القلق الاجتماعي وتجلياته الإبداعية في قصائد مختارة من ديوان رياحين لشاعر محمد عبد الله معيتيق: قراءة تحليلية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

أ. حليمة عمر علي الصيد
محاضر، قسم اللغة العربية، كلية التربية زلطن، جامعة صبراتة، ليبيا.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يناير ٢٠٢٦م

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف أبعاد القلق الاجتماعي وتجلياته الفنية في ديوان "رياحين"، بوصفه ظاهرة محورية تعكس تفاعل الشاعر مع محيطه، ولتحقيق ذلك سعت الدراسة إلى تحديد وتصنيف الموضوعات الاجتماعية التي شكلت مصدر قلق للشاعر، وتحليل المظاهر الإبداعية لهذا القلق على المستويين الفني والأسلوبي، وصولًا إلى استخلاص رؤيته الفكرية والنقدية تجاه مجتمعه. واعتمدت الدراسة بشكل أساسي على المنهج الموضوعاتي لتتبع الموضوعات الاجتماعية المهيمنة والمتكررة في نصوص الديوان، ودعم هذا المنهج بآليات من المنهج الوصفي- التحليلي الذي استخدم في تفكيك البنى الأسلوبية والصور الشعرية، بهدف الكشف عن كيفية توظيفها فنيًا للتعبير عن تلك الموضوعات المقلقة. وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة جوهرية مفادها أن القلق الاجتماعي في ديوان "رياحين" لم يكن مجرد غرض شعري عابر، بل شكل محركًا بنيويًا للتجربة الشعرية بأكملها، حيث أسهم في تشكيل الصور الفنية، وتحديد الإيقاع، وتوجيه اللغة الشعرية. وفي ضوء هذه النتائج توصي الدراسة بإجراء دراسات مقارنة مُعمقة تتناول رؤية الشاعر في ديوانه "رياحين" مع رؤى شعراء آخرين عالجوا القضايا الاجتماعية ذاتها في السياق الليبي، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم تطور الخطاب الشعري الاجتماعي في ليبيا.

الكلمات المفتاحية: القلق الاجتماعي، التجليات الإبداعية، ديوان رياحين، الشاعر محمد عبد الله معيتيق.

Abstract:

This study aimed to explore the dimensions of social anxiety and its artistic manifestations in the poetry collection Rayahin, viewing it as a pivotal phenomenon that reflects the poet's interaction with his surroundings. To achieve this, the study sought to identify and classify the social themes that were a source of anxiety for the poet, analyze the creative expressions of this anxiety at both the artistic and stylistic levels, and ultimately deduce his intellectual and critical vision of his society. The study primarily adopted a thematic approach

to trace the dominant and recurring social themes in the collection's texts. This approach was supported by mechanisms from the descriptive-analytical method, which was used to deconstruct stylistic structures and poetic imagery, aiming to reveal how they were artistically employed to express those unsettling themes. The study reached a fundamental conclusion that social anxiety in the Rayahin collection was not merely a transient poetic theme but rather a structural driver for the entire poetic experience. It contributed to shaping the artistic imagery, determining the rhythm, and directing the poetic language. In light of these findings, the study recommends conducting in-depth comparative studies that examine the poet's vision in his Rayahin collection alongside the visions of other poets who addressed the same social issues within the Libyan context, thereby opening new horizons for understanding the evolution of social poetic discourse in Libya.

Keywords : Social Anxiety, Creative Manifestations, The Diwan of Rayahin, The Poet Mohammed Abduiiah Maiteeq.

*** مُقدّمة**

يعد القلق الاجتماعي ظاهرة نفسية واجتماعية معقدة، تتجلى في صور متعددة داخل المجتمعات البشرية، وتؤثر بشكل مباشر على الأفراد وتفاعلاتهم، وفي سياق التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها المجتمعات العربية، ومنها المجتمع الليبي – الذي مازال يعاني من تبعات هذه التحولات – يكتسب هذا النوع من القلق أبعادًا إضافية تستدعي البحث والتحليل، حيث يمثل الخطاب الشعري مرآة لتلك التحولات التي تعكس الواقع الاجتماعي والنفسي للشعراء والمجتمعات التي ينتمون إليها، فالخطاب الشعري ليس مجرد تعبير فني، بل هو وثيقة اجتماعية يمكن من خلالها استكشاف القضايا والتحديات التي تواجه الأفراد والمجتمع.

تناولت هذه الدراسة بالبحث والتحليل القلق الاجتماعي وتجلياته الإبداعية في الخطاب الشعري الليبي الحديث، مستهدفة الكشف عن أبعاده النفسية والاجتماعية والفكرية والفنية، وقد اتخذت من ديوان (رياحين) للشاعر محمد عبد الله معيتيق ميدانًا تطبيقيًا، بوصفه نسيجًا شعريًا يعكس بصدق تفاعل الذات المبدعة مع التحولات العميقة، والتحديات الجسيمة التي عصفت بالمجتمع الليبي آنذاك، ومن خلال ذلك سعت الدراسة إلى تحليل ونقد وتفكيك الشفرات اللغوية والرمزية والصور الشعرية التي تجسد حالات القلق على مستويه الفردي والجماعي، ومن ثم ربط هذه التجليات بسياقاتها الاجتماعية والثقافية التي أفرزتها، وصولًا إلى فهم أعمق لكيفية تشكل الوعي الشعري في مواجهة واقعه. وقد قسم البحث إلى تمهيد ومبحثين على النحو الآتي: –

* **مشكلة الدراسة**

تتمحور مشكلة الدراسة حول فهم الآليات الموضوعية والفنية التي وظفها الشاعر محمد معيتيق للتعبير عن القلق الاجتماعي في قصائده المختارة للدراسة، كما أنه لم تقتصر الدراسة على رصد القضايا الاجتماعية فحسب، بل تسعى إلى تحليل كيفية تحول هذا القلق من مجرد هم اجتماعي إلى بنية شعرية متكاملة تحمل رؤية الشاعر النقدية وتجلياته الإبداعية الخاصة.

* **تساؤلات الدراسة**

انطلقت الدراسة من التساؤل الرئيسي التالي: كيف تجلى القلق الاجتماعي موضوعيًا وفنيًا في القصائد المختارة من ديوان رياحين ؟ ... وتتفرع عنه التساؤلات التالية: -

١- ما هي الموضوعات الاجتماعية المحورية التي شكلت مصدر قلق للشاعر في هذه القصائد؟

٢-كيف عبر الشاعر عن القلق من خلال أدواته الفنية (المعجم اللغوي، الصورة الشعرية، الأسلوب) في كل قصيدة؟

٣- ما هي الرؤية النقدية والإصلاحية التي يقدمها الشاعر كحلول أو كدعوة للتأمل في القضايا المطروحة؟

* **فرضيات الدراسة**

١- تفترض الدراسة أن القلق الاجتماعي لدى الشاعر لا يظهر كشكوى سلبية، بل كطاقة دافعة نحو نقد الظواهر السلبية والدعوة إلى قيم إيجابية بديلة كالأخلاق، والعمل، والتكافل.

٢- تفترض الدراسة أن الشاعر يستخدم أساليب فنية متنوعة تتناسب مع موضوع القلق؛ فيكون الأسلوب مباشراً وتقريريًا في قضايا محددة مثل قضايا المرور، بينما يكون تأمليًا ووجدانيًا في قضايا أخرى مثل الأخلاق والذكريات.

تفترض الدراسة أن القصائد المختارة تشكل معًا رؤية متكاملة لمشروع الشاعر الإصلاحي الذي ينطلق من قلق عميق على هوية المجتمع ومستقبله.

* **أهداف الدراسة**

هدفت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية: -

١- تحديد وتصنيف الموضوعات الاجتماعية التي أثارت قلق الشاعر في القصائد قيد الدراسة.

٢- تحليل التجليات الإبداعية لهذا القلق على المستوى الفني والأسلوبي.

٣- استخلاص الرؤية الفكرية والنقدية للشاعر تجاه مجتمعه كما تعكسها هذه النصوص.

* **أهمية الدراسة**

تكمن أهمية هذه الدراسة في جانبين هما: الجانب العلمي- تقدم الدراسة قراءة نقدية معمقة ومحددة لمجموعة من نصوص الشاعر معيتيق، وهذا يضاف إلى الدراسات التي تناولت الشعر الليبي الاجتماعي، كما أنه يركز على العلاقة بين الموضوع (القلق الاجتماعي) والتجلي الفني، وهو ما يثري حقل النقد الموضوعي . أما الجانب الآخر العملي- توفر الدراسة نموذجًا تحليليًا للباحثين والدارسين حول كيفية مقاربة نصوص شعرية محددة ودراستها دراسة موضوعية وفنية متكاملة، كما تسلط الضوء على الدور الاجتماعي والأخلاقي للشعر.

*** المنهج المتبع في الدراسة**

اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على المنهج الموضوعاتي الذي يهتم بتتبع ودراسة الموضوعات المتكررة والمحورية في النص الأدبي، كما تم تدعيم هذا المنهج بآليات من المنهج الفني (الوصفي- التحليلي) لتحليل البنية الأسلوبية والصور الفنية التي تخدم في التعبير عن تلك الموضوعات.

*** حدود الدراسة**

١- **الحدود الموضوعية:** اقتصرت الدراسة على القلق الاجتماعي وتجلياته الإبداعية في القصائد المحددة.

٢- **الحدود النصية:** انحصرت الدراسة في قصائد اجتماعيات من ديوان رياحين للشاعر الليبي محمد عبد الله معيتيق.

*** مدخل تمهيدي**

*** قراءة في مفهوم القلق الاجتماعي وعلاقته بالشعر**

يعد القلق ظاهرة إنسانية متجذرة في صميم الوجود الفردي والجماعي، وهو يتخذ أبعاداً أكثر تعقيداً حين يرتبط بالبنية الاجتماعية وتفاعلاتها، وهذا يُعرف بمصطلح (القلق الاجتماعي) ، حيث أنه لا يقتصر هذا المفهوم على كونه مجرد حالة نفسية عابرة، بل هو انعكاس عميق لتوتر العلاقة بين الذات والآخر، وبين الفرد والمجتمع، وقد وظف مصطلح القلق لدى (جون لوك) للدلالة على الشعور بالضيق والمعاناة النفسية (وهبه، ٢٠٠٧، ص٤٩٩) ، ومن خلال ذلك يمكن تعريف القلق بأنه « حالة انفعالية مصحوبة بالخوف أو الفزع، وتحدث كرد فعل لتوقع خطر حقيقي خارجي » (بدوي، ١٩٧٨، ص٢٢) ، وهذا يؤكد بأن القلق اضطرابًا نفسيًا شائعًا يتميز بالخوف الشديد والمستمر من المواقف الاجتماعية التي قد يتعرض فيها الفرد للتقييم من قبل الآخرين، وبما أن منبع القلق المجتمع فيمكن تعريف القلق الاجتماعي بأنه « الاحتكاك والاحباط في علاقات الجماعات » (بدوي، ١٩٧٨، ص٣٩٨) ، ومن هذا السياق تبرز الفنون وعلى رأسها الشعر بوصفه مرآة حساسة قادرة على التقاط هذه التوترات، ورصد اهتزازات الروح الفردية في مواجهة محيطها، لذلك يعد القلق الاجتماعي المحرك الخفي الذي يمنح القصيدة توترها الإبداعي وصدقها الإنساني، إنه الحالة التي تتحول فيها اللغة من أداة تواصل مباشرة يخشاها القلق إلى فضاء رمزي آمن ، حيث يمكن بناء الذات وإعادة تقديمها للعالم بشروط يضعها الشاعر بنفسه.

بالتالي يستخدم الشاعر الذي يعاني من القلق الاجتماعي الكلمات كأقنعة شفافة تكشف أكثر مما تخفي، لكنها تمنحه شعوراً بالسيطرة على ما يتم كشفه، وهكذا يتحول العجز عن المواجهة المباشرة إلى قوة فنية هائلة قادرة على لمس أرواح الآخرين الذين يجدون في الشعر صدى لصراعاتهم الصامتة، ومن شعراء لبنان نجد إيليا أبو ماضي في قصيدة (قنبلة الفناء) التي جسد فيها حالة من الهلع والفزع الوجودي الشامل الذي يتجاوز القلق الاجتماعي المعتاد، حين يصف دماراً كليًا يطال الطبيعة والحياة، مما يثير في النفس البشرية إحساسًا بالعجز المطبق وفقدان الأمان، وهو شعور قد يؤدي إلى انهيار البُنى الاجتماعية والنفسية للفرد والمجتمع على حد السواء، وفي ذلك يقول (أبو ماضي، د.ت، ص٥٩٤) : -

إذا سحقت أرضنا القنبلة *** كما يسحق الحجر الخردله

وقوض مفعولها الراسيات *** فصارت غباراً له جلجله

ودب الفنا في ذوات الجناح *** وغلغل في النبت فأستاصله

كما تناول الشعر الليبي قضايا اجتماعية عديدة مثل الغربة، والعزلة، والقلق، والفقر، والظلم، وغيرها من الظواهر الاجتماعية داخل المجتمعات العربية والليبية على السواء، ومن بين هؤلاء الشاعر حسن السوسي الذي تناول ظاهرة النشل في مصر قائلًا في قصيدة (نشال) (السوسي، ١٩٨٧، ص ٥٤-٥٥): -

ما دمت في مصر فلا تأتمن *** حتى الذي سموه فيها الأمين

نشالهم إن لم يجد سلعة *** تصلح أن يعمل فيها اليمين

و لم يجد في المرء ما يستبي *** لراود الكحل الذي في العيون

جميلة مصر ولكنها *** بمثلهم صارت كمثل الأتون

تصور هذه الأبيات مجتمعًا يسوده القلق وانعدام الثقة، حيث يحذر الشاعر من مغبة الاطمئنان حتى لمن يُفترض بهم الأمانة، ويصل هذا القلق الاجتماعي إلى ذروته حين يتحول الإنسان إلى هدف للسرقة، ليس فقط لممتلكاته المادية فحسب، بل حتى الأبسط تفاصيل زينته، مما يعكس حالة من اليأس والتردي الأخلاقي التي تحول جمال المكان إلى بؤرة للمعاناة والفساد.

*** قراءة في ترجمة الشاعر وديوانه**

هو الشاعر محمد عبد الله معيتيق ولد بمدينة مصراتة عام ١٩٢٦م ، استهل مسيرته العلمية بدراسة القرآن الكريم في (زاوية المنتصر) ثم انتقل إلى (زاوية الزروق) ليتعمق في دراسة علوم اللغة العربية والفقه والقرآن، حيث لم تقتصر دراسته على التعليم التقليدي، بل التحق بالمدرسة الإيطالية لفترة من الزمن، مما أتاح له نافذة على ثقافة أخرى، وفي سياق طلبه للعلم انتقل إلى مدينة زليتن حيث درس في (المعهد الأسمري) ، ومنها رحل إلى العاصمة طرابلس ليلتحق بـــــ (معهد أحمد باشا) وهناك نال إجازة التدريس العامة (نصر، ٢٠٠٤، ص٦٢٧) .

أما عن نتاجه الأدبي فقد نشر قصائده ومقالاته في العديد من الصحف والمجلات الليبية آنذاك مثل: صحيفة طرابلس الغرب، وصحيفة الثورة، ومجلة المربي، ومجلة الأمل، كما كانت له إسهامات فاعلة في الحياة الثقافية من خلال مشاركته في ندوات ومؤتمرات علمية تناولت قضايا التعليم في مصراتة، ووجد شعره طريقه إلى المستمعين عبر الأثير الإذاعي والمنابر الوطنية، تعددت الأغراض الشعرية في قصائده وقد تبنى في رؤيته الفنية مذهب التجديد الشعري مع التزامه بأصول الوزن والقافية ما يعكس رؤية تجمع بين الأصالة والمعاصرة (نصر، ٢٠٠٤، ص٦٢٧) .

أما عن ديوان (رياحين) الصادر عن دار لبنان للطباعة والنشر في طبعته الأولى عام ١٩٧٠م يمثل وعاءً جامعًا لتجربة الشاعر محمد عبد الله معيتيق الشعرية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد تجلى ثراء هذه التجربة في تعدد الأغراض الشعرية التي تناولتها قصائده، فمنها ما هو في الوطنيات كقصيدة (تحية الثورة، وسنقاوم الطغيان، وأنا ليبي وغيرها) ، ومنها ما يندرج ضمن الإسلاميات مثل قصيدة (قصة الهجرة، ويوم المولد، وهلال المحرم وغيرها) ، كما أفرد الشاعر مساحة للرثائيات في قصائد مؤثرة كـــ (دموع على

العقاد، وفقيد الوطن السعداوي، ودموع على القويري وغيرها) ، ومنها ما هو في الاجتماعيات مثل قصيدة (حاجتنا إلى الأخلاق، وذكريات الصغر، ومشكلة المرور وغيرها)، وهذه الأخيرة ستكون محور البحث والتحليل التي تتركز عليها الدراسة الحالية بهدف استجلاء واستكشاف رؤية الشاعر العميقة للقضايا الاجتماعية التي لامست واقع مجتمعه آنذاك.

*** تجليات القلق الاجتماعي على مستوى الفرد والقيم**

يتجلى القلق الاجتماعي في الشعر بوصفه صدى داخليًا لانهيارات كبرى تمس بنية الفرد والقيم في آن معًا، فالذات الشاعرة تبدو موزعة بين اغترابها عن محيط لم يعُد يمنحها يقينًا، وحنينها إلى منظومة أخلاقية آخذة في التآكل، فيتلبس القلق صوت القصيدة متحولًا من شعور شخصي إلى معادل رمزي لخلل جمعي أعمق، وتغدو الكلمات مساحة لمسألة الضمير الجمعي في ظل علاقات اجتماعية متصدعة تفقد الحد الأدنى من التكافل، وفي هذا السياق يقدم شعر معيتيق تشخيصًا عميقًا لازمة القلق الاجتماعي بوصفها سمة مركزية للوجود المعاصر آنذاك من خلال ثنائية قلق الذات وتآكل القيم.

*** قلق الذات وتآكل القيم الأخلاقية**

إن تفاعل الذات مع العالم لاسيما في فضاءاتها الإبداعية يتشكل عميقًا بحضور الآخر وواقعه، هذا التفاعل لا يرسخ وعي الذات فحسب، بل يكشف أيضًا عن انبثاق إبداع الذات وتجسده من هذا الآخر (الحميري، ١٩٩٩، ص٢٧) ، في هذا السياق يبرز قلق الذات كحالة وجودية ناتجة عن تصادم الداخل مع الخارج، هذا التصادم الذي تعاني فيه الذات من اغتراب وجودي يدفعها إلى إعادة تعريف نفسها في عالم متشظ، بالتالي ينعكس هذا القلق على المستوى القيمي حيث يلاحظ تآكل تدريجي للمبادئ الأخلاقية تحت وطأة الضغوط الاجتماعية والتحولات الثقافية السريعة، مما يخلق فجوة بين الموروث القيمي والواقع المتغير، ويؤدي هذا التصدع إلى انزياح الذات نحو اللايقين فتقبع في حيرة بين التمسك بالثوابت أو الانسياق مع التيار، وهذا يدفع بالذات إلى إعادة تشكيل عالمها الإبداعي في صياغات تتأرجح بين التماسك والتفكك، وبين الأصالة والتبعية، وبين الثبات والانزياح القيمي، ففي قصيدة (حاجتنا إلى الأخلاق) يعبر الشاعر معيتيق عن قلق وجودي عميق ينبع من إدراك الذات لانهيار المنظومة الأخلاقية في المجتمع، ويجعل من الشعر وسيلة لمسألة هذا الانهيار، قائلًا (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٢٦) :

وما احتاج الورى يوما لأمر *** كما احتاجوا غلى الخلق القويم
بلا خلق ولو شيدت قصرًا *** فلم يكُ ذاك بالقصر المقيم
وما بنيت صروح المجد إلا *** على الخلق المعظم من قديم
وفقر المال يدفعه ثراء *** يمن به المهيمن للعديم
وفقر المرء في الأخلاق خطب *** تعاظم فهو أكبر من جحيم

يفتتح الشاعر القصيدة بمفارقة مأساوية (ما احتاج الورى يومًا لأمر ... كما احتاجوا إلى الخلق القويم) ، حيث يظهر التناقض بين الحاجة للأخلاق وبين الاهتمام المؤقت بالماديات، هذه المفارقة تكرس حالة القلق من ذهنية مجتمعية تغيب عنها البوصلة الأخلاقية، ويتجلى القلق الإبداعي هنا في استخدام الشاعر للرمزية البنائية التي تتجسد في (القصر) كرمز للحضارة المادية الزائلة التي تتهاوى دون أخلاق في مقابل

(صروح المجد المبنية على الخلق المعظم) ، حيث تُظهر الثنائية عمق الإحساس بهشاشة المجد الزائف مقابل متانة المجد الأخلاقي، وتكشف هنا عن رؤية فلسفية تؤمن بأن الأخلاق هي الضامن الوحيد لاستمرارية الحضارات، وفي البيتين الأخيرين يقارن الشاعر بين فقر المال وفقر الأخلاق، حيث يتحول القلق من ظاهرة اجتماعية إلى معاناة داخلية، فيصور تآكل القيم ككارثة وجودية تهدد كينونة الفرد والمجتمع معًا، وقد استخدم الشاعر هنا الانزياح اللغوي لتحويل الأخلاق من مفهوم وعظي إلى معادل موضوعي للوجود، وهذا التحول هو جوهر الابتكار في القصيدة، حيث يصبح القلق الاجتماعي محركًا للإبداع بدلًا من أن يكون مجرد موضوع له، أنها صرخة وجودية تبحث عن نهوض راقٍ يُعيد للإنسان مجده، وللأمة كرامتها، وللكلمة سلطانها، وفي ذلك يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص ١٢٤- ١٢٥) :

خلت كثير النوادي *** من كل شيء مفيد

صحافة في بلادي *** تخاف نشر قصيدي

لا تركنوا لدخيل *** لا تأمنوا لطريد

أن الأجانب داء *** وقلبهم كالحديد

فهم غزاة المال *** وكل شيء مفيد

لا يؤمنون بحق *** ولم يفوا بعهود

كم أخضعوا من شعوب *** إلى حياة العبيد

أريد أرقى نهوض *** لقوم شعب مجيد

تكشف الأبيات عن بنية نفسية متصدعة، حيث لا يقف القلق عند حدود الذات الشاعرة، بل يتسرب كعدوى ليصيب النسيج الاجتماعي بأكمله، فيصرح الشاعر بحالة الاغتراب المبكر (خلت كثير النوادي من كل شيء مفيد) فالنوادي التي يفترض أن تكون فضاء لتبادل الأفكار أصبحت خاوية، ما يعكس قلق الذات الشاعرة من الفراغ الثقافي والاجتماعي المحيط، وهو فراغ يولد شعوراً بالانسحاق تحت وطأة عدم الفائدة، ليتحول القلق في البيت الثاني (صحافة تخاف نشر قصيدي) من حالة نفسية داخلية إلى عائق مؤسسي خارجي، فالخوف هنا مزدوج: خوف الصحافة من السلطة، وخوف الشاعر من الاخفاق في إيصال صوته، هذه الرقابة الذاتية والمفروضة تمثل أبرز تجليات تآكل قيمة الحرية، ثم ينتقل الشاعر من قلق التعبير إلى قلق الهوية والانتماء في الأبيات (لا تركنوا لدخيل) إلى (ولم يفوا بعهود) ، وهنا يتم استدعاء صورة الآخر (الأجنبي) بوصفها مصدر التهديد المطلق (داء، قلبهم كالحديد، غزاة المال) هذا التصوير هو تعبير عن قلق عميق من الاختراق الثقافي والاقتصادي، كما يظهر كيف يتحول القلق الاجتماعي إلى خطاب انفعالي يختزل التعقيدات في ثنائية (نحن) المغلوبة على أمرها، و (هم) الشريرة المتآمرة، حيث لم يعُد هناك مجال للثقة لا بالدخيل ولا حتى بالطريد، وهذا يعمق أزمة الذات وشرخها الداخلي، ويبلغ القلق ذروته التصويرية في قوله (أخضعوا من شعوب إلى حياة العبيد) ، حيث يستحضر الشاعر ذاكرة الاستعمار كنموذج مستمر في الحاضر، وهي قمة تجليات القلق الاجتماعي من ضياع السيادة وفقدان السيطرة على المصير، وفي البيت الأخير ينهض صوت الذات القلقة معلنًا رغبته في (نهوض أرقى لشعب مجيد) في محاولة لاستعادة المجد الأخلاقي والإنساني عبر الحلم بإصلاح شامل يُعيد للذات توازنها وللمجتمع قيمه المفقودة.

نستخلص أن قلق الذات في القصائد يرتبط بتآكل القيم الأخلاقية، مما يؤدي إلى شعور بالاغتراب والضياع الداخلي، كما يعد غياب التكافل الاجتماعي مظهراً بارزاً لهذا الانهيار القيمي، حيث يعمق من عزلة الشاعر، ويُغذي قلقه الوجودي، ومن خلال التجربة الإبداعية المقدمة نجد أنها لا يعبر الشاعر فيها عن قلق فردي فقط، بل ينقل وجعًا جماعيًا ناتجًا عن افتقاد المعنى التكافلي والمساندة، ومن هذا المنطلق يظهر الشعر كمساحة لاستدعاء قيم بديلة قادرة على استعادة التوازن الإنساني، ونخلص في الختام إلى أن القلق يولد طاقة إبداعية تعبر عن الصراع بين الذات والواقع.

*** قلق التكافل الاجتماعي المفقود**

في زمن تتآكل فيه الروابط الاجتماعية وتضطرب فيه القيم، يتجلى قلق التكافل الاجتماعي المفقود كأحد أعمق وجوه القلق الإنساني، حيث يشعر الفرد بانفصاله عن نسيج الجماعة، فالتكافل الحقيقي الذي يُعرف بأنه الحالة التي يعتمد فيها مجتمعان أحدهما على الآخر اعتماداً كبيراً مع احتفاظ كل منهما بخصائصه الثقافية والاجتماعية المتفردة وتمسكه بصميمه القيمي المختلف (بدوي، ١٩٧٨، ص٤١٨) ، هذا التباين في القيم والأنساق السلوكية يؤدي إلى نوع من التوتر البنيوي ينعكس على وعي الفرد وشعوره بالانتماء، ومن ثم فإن غياب التكافل الفعال يُسهم في تفكك المعايير الاجتماعية المشتركة، ويزيد من الشعور بالقلق والاغتراب داخل المجتمع، حيث تجسد قصيدة (الجار المحتاج) ببراعة قلق التكافل الاجتماعي المفقود ليس عبر وصف الفقر، بل من خلال تشخيص أزمة وجودية تتمثل في قلق غياب التكافل الاجتماعي في المجتمع، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤١-١٤٢) : -

لجارك يا صاحب الثروة *** حقوق إذا كان ذا عيلة

أترفل في سابغات الحرير *** وجارك عار وفي قرة

أتأكل أشهى صنوف الطعام *** وتبخل يا صاح بالكسرة؟

تنام وفوق فراش وثير *** وذاك الفقير على سدرة

وقد طبت نفسا بما تشتهي *** وأبصرت غيرك في حسرة

فهل دام مال لأصحابه؟ *** وهل دام عز لذي عزة

تذكر خليلي صروف الحياة *** وحافظ على هذه النعمة

وانفق على المعوزين الضعاف *** ورفه على صاحب الحاجة

في هذه القصيدة يبني الشاعر نصه على مفارقة حادة بين عالمي الغني والفقير، فالترف المتمثل في (سابغات الحرير) و (أشهى الطعام) يقابله (العري) و (الحسرة) ، مما يفضح جداراً نفسيًا يعزل الجارين، ويحول القرب الجغرافي إلى قطيعة إنسانية، وهنا يتجاوز الشاعر اللوم المباشر إلى تحذير وجودي أعمق، حين يربط بين زوال النعم وتقلبات الزمن (فهل دام مال؟) ليجعل من مساعدة الآخر ضرورة للحفاظ على الذات وليس مجرد فضيلة فحسب، وبهذا تتحول القصيدة من مجرد دعوة للإحسان إلى صرخة نقدية ضد تضخم الأنا الفردية وتهميش الآخر، كما تكشف عن قلق عميق من مجتمع مهدد بالتفكك حين يفقد أفراده القدرة على الشعور ببعضهم البعض. وهذا التفكك المجتمعي نجده في قصيدة (بنك الدم) لشاعر معيتيق التي تمثل وثيقة إنسانية ونفسية عميقة تتجاوز حدود النص الأدبي، لتصبح تشخيصًا لواقع مرير ينبع من رحم المأساة الشخصية التي عاشها الشاعر، ليكشف عن قلق

وجودي جماعي يتمحور حول انهيار قيمة التكافل الاجتماعي في المجتمع، والتي تعد العمود الفقري لأي مجتمع متماسك، وفي ذلك يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٥٦– ١٥٧): –

ومستشفى بلا بنك الدماء *** كآنية تكون بلا غطاء

بالأمس القريب نعت جموع *** وفاة حضينة ذات الوفاة

ومات جنينها موتًا فظيعًا *** يهد الصخر من وقع الرزاء

وكم من صبية صاروا يتامى ***.بموت الأم في وقت الشقاء

وكم من أنفس ذهبت وكانت *** تؤدي دورها خير الأداء

إذا ساهمت في بنك الدماء *** وكنت على التبرع ذا سخاء

وإنقاذ المحبب من ذويهم *** وقد برهنت عن فهم الإخاء

يُبنى النص في هذه القصيدة على مفارقة مأساوية تهز المتلقي من الأعماق، فالمستشفى الذي يفترض أن يكون رمزًا للشفاء يتحول إلى فضاء للموت، فالصورة التي رسمها للمستشفى (بلا بنك دماء كآنية بلا غطاء) تختزل في طياتها شعورًا بالخذلان أمام موت كان بالإمكان تفاديه، هذا الغياب لا يُقرأ بوصفه نقصًا ماديًا فحسب، بل كفقدان لقيمة إنسانية جوهرية، ومن هنا يبدأ القلق الاجتماعي بالتشكل ليس في هيئة شكوى، إنما كوعي مؤلم بانهيار منظومة القيم الأخلاقية التي يفترض أن تحمي الإنسان في لحظات ضعفه، لكن التوتر الشعري هنا لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ يتصاعد مع ذكر موت (الجنين) الذي (يهد الصخر من وقع الرزاء) في تعبير يفيض بالحسرة، وفي الوقت ذاته يكشف عن عمق الفاجعة، لا بوصفها حدثًا فرديًا، بل كأثر اجتماعي يتردد صداه في حياة (الصبية الذين صاروا يتامى) ، وهنا يربط الشاعر معيتيق بين الفقد وبين غياب فعل التبرع، ليؤكد مرة أخرى بأن التكافل ليس مجرد شعور عابر، إنما هو ممارسة حية، وأن الإخاء لا يُثبت بالكلمات بل بالفعل، ثم يتغلغل في عمق القصيدة ليتحول الخطاب من الرثاء إلى دعوة أخلاقية عامة، حيث يربط بين (التبرع بالدم / وبين إنقاذ الأرواح) في محاولة لاستنهاض لقيمة الإيثار التي غابت عن المشهد الإنساني، وهكذا فإن القصيدة ليست مجرد تأثر .بموقف شخصي، بل هي تجلي إبداعي لقلق اجتماعي عميق يفضح هشاشة القيم حين تُختبر، مما يجعل من القصيدة دعوة ملحة لإعادة بناء (بنك القيم) المجتمعي كضامن لكرامة الإنسان وأمنه.

مجمل القول أن شعر معيتيق يعكس بعمق تجلي القلق الاجتماعي الناتج عن فقدان التكافل، حيث يظهر الفرد في حالة اغتراب وتصدع قيمي داخل مجتمع متحول، ويتصل هذا القلق بتحولات اقتصادية واجتماعية تُعيد تشكيل بنية العلاقات، وتُضعف من حضور القيم الجماعية لصالح النزعة الفردية، كما يبرز النص الشعري عنده أثر الحياة المدنية الحديثة في تفكيك الروابط التقليدية، مما يفاقم الإحساس بالوحدة واللاانتماء، وهكذا يغدو شعر معيتيق تعبيرًا عن قلق حضاري تجاه واقع اجتماعي مأزوم يفتقر إلى دفء التكافل وسط صخب التحول.

*** تجليات القلق تجاه قضايا المجتمع الحديث**

يتبدى القلق تجاه قضايا المجتمع الحديث من خلال محورين أساسين يشكلان معًا أبرز ملامح التوتر في حياة الإنسان المعاصر هما: محور التحولات الاقتصادية والاجتماعية، ومحور مظاهر الحياة المدنية ومشكلاتها، فعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي يشهد الإنسان تحولات

متسارعة أدت إلى تغيير أنماط العيش، وانهيار كثير من القيم التقليدية التي كانت تشكل إطاراً مرجعيًا للاستقرار الشخصي والجمعي، حيث أفرزت هذه التحولات نوعًا من القلق الوجودي، فباتت العلاقات الإنسانية مشروطة بالمصلحة، وخاضعة لمتغيرات الحياة اليومية، كما أسهم تسارع وتيرة الحياة، وتقلص دور الأسرة الممتدة، وتفكك البُنى التقليدية للمجتمع في شعور الفرد بالعزلة والضياع رغم انغماسه في فضاء يعجُ بمظاهر التطور الحديثة . أما على صعيد الحياة المدنية فإن التمدن على الرغم من كونه مظهراً من مظاهر التقدم، إلا أنه جلب معه مشكلات معقدة تتعلق بالهوية والانتماء وغياب المعنى، ففي المدن الكبرى يتعرض الإنسان لضغوط نفسية متزايدة ناتجة عن تزايد متطلبات الحياة العصرية، وتراكم الأدوار، وتفكك الروابط الاجتماعية، وقد أسهمت البنية المادية للمدينة الحديثة في فرض نمط من الحياة يقوم على السرعة والانعزال والاستعراض، مما أدى إلى تراجع الروح الجماعية وازدياد مشاعر الاغتراب.

*** قلق التحولات الاقتصادية والاجتماعية**

يجسد الشاعر معيتيق في رؤيته الشعرية قلقًا واضحًا من التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تُثقل كاهل المجتمع الليبي، وتُربك مساره القيمي، فتناول الشاعر لقضايا مجتمعه كغلاء المهور مثلًا لا يأتي فقط بوصفه عائقًا ماديًا، بل كرمز لاختلال الموازين الاجتماعية التي تقيد الشباب، وتحرمهم من أبسط حقوقهم في بناء حياة مستقرة، مما يفتح الباب أمام الانحراف أو العزوف القسري أو الزواج بأجنبيات،

ففي قصيدة (غلاء المهور) يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤٦):-

ما تجرعت لذيذًا طيبًا *** في رُبى الحب وما حققت قصدي
أنا مغتر بما قد نلته *** من بروق لم تكن للصب تُجدي
ما الذي أوقعني في فخها؟ *** غير إفلاس إلى الشبان يردي
وبنو جنسي وما أجحفهم *** يسلبون المال في مهرٍ وعقدٍ
وتكاليف فلا تدعو لها *** حاجة العصر ولا تفضي لود
وارتفاع المهر في أوطاننا *** لم يقف يومًا لدينا عند حدٍ

تكشف هذه القصيدة عن قلق عميق تجاه التحولات الاقتصادية والاجتماعية، حيث يصور الشاعر تجربة العزوف عن الزواج بسبب الإفلاس المادي، وهنا تتجلى الرؤية النقدية للشاعر في كشفه للانزياح القيمي، حيث تحولت العلاقات الإنسانية إلى معاملات مادية صرفة، معبرا عن اغتراب الذات في مجتمع استبدل قيم الود بقيم السلعة، وهنا يستخدم الشاعر تقنية التدرج من الذاتي (أنا مغتر) إلى الاجتماعي (بنو جنسي) ليؤسس لرؤية نقدية ترصد تحول المهر من رمز للتكافل إلى أداة إفقار، أما توظيف الانزياح الدلالي في (بروق لم تكن للصب تجدي) يفضي إلى تفكيك الخطاب الرومانسي التقليدي، بينما تشكل صورة (فخ الإفلاس) تمثيلًا بارعًا لازمة الشباب في مواجهة البُنى الاقتصادية المشوهة، كما يعبر عن أسفه لانصراف الشباب عن الزراعة إلى مهن أخرى أقل تعبًا، وهذا التحول لا بوصفه تحولًا عاديًا إنما كفقد للانتماء إلى الأرض، واستبدالها برغبة في الراحة والوظائف السهلة، ورؤية الشاعر هنا ليست مجرد رصد لواقع مجتمع مضطرب، بل إنذار لما قد تؤدي إليه هذه التحولات من ضياع للهوية، فهو

يستنهض الوعي الجمعي لإعادة النظر في مسارات التنمية وأولويات المجتمع، ويبدو أن الشاعر معيتيق يدق ناقوس الخطر من خلال تسليطه الضوء على هذه القضية، محذراً من أن هروب الشباب من الزراعة ليس مجرد تحول مهني، إنما هو انسحاب من نظام قيمي كامل كان يمثل حصناً ضد التحديات الاقتصادية والاجتماعية، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤٩-١٥٠): -

ردوا الشباب إلى الزراعة *** فلا حياة بلا زراعة
فهي السبيل لكل شيء *** وعلى الأخص إلى الصناعة
وإلى اكتفاء الشعب فيها *** قد شرى يوماً وباعه
من أهمل الحقل المفيد *** فما له للحق طاعه
والأرض إن هي أهملت *** فبلادنا تغدو مضاعه
لا عز للشعب الذي *** يحيا فقيراً في الزراعة
ويظل دوماً عالة *** يحيا على كنف الضراعه

تكشف القصيدة عن قلق عميق تجاه التحولات الاقتصادية التي همشت الزراعة لصالح أنماط إنتاجية أخرى، وهنا يتجلى هذا القلق في تصوير الأرض كمصدر للحياة والكرامة مقابل التبعية والفقر عند إهمالها (من أهمل حقل مفيد) ، حيث يرتبط المصير الوطني هنا بالأرض، وتفكيك العلاقة معها يؤدي إلى فقدان السيادة والاكتفاء للوطن، بالتالي تكشف هذه المفارقة بين من (شرى يوماً وباعه) عن خيانة للمورد الأساسي وهو الزراعة، وتُدين الانزياح القيمي الذي يجعل الزراعة أدنى من الصناعة في خلفية النص، بذلك تتحول الدعوة للعودة إلى الزراعة إلى صرخة دفاع عن الذات في وجه اقتصاد يتجه نحو التبعية والاستهلاك لا نحو الإنتاج.

لاسيما فقد شكلت الحروب المتتالية خصوصاً الحرب الطويلة مع الإيطاليين منعطفاً مصيرياً في التاريخ الليبي، حيث أورثت المجتمع ثنائية خانقة من الجهل والفقر، وعكست نفسها سلباً على البُنى الاقتصادية والاجتماعية (البشتي، ٢٠١٨، ص٨٥) ، وقد تجلت تداعيات ذلك في تحولات عميقة تمثلت في هجرة واسعة من الأرياف إلى المدن هرباً من قبضة الفقر، ليصطدم القادمون الجدد بواقع حضري قاسٍ يحمل في طياته مزيداً من الملمات والمشكلات التي عززت دوامة التخلف وصعدت من أزمات التحول المجتمعي، مما جعل التأخر سمة بارزة للحياة في ليبيا لقرون طويلة، وفيها يقول معيتيق (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٣٠) :

يا من هجرت الريف تبحث *** في المدينة عن عمل
وتركت حقلك خاوياً *** والبيت من هجر نزل
إن المدينة جوها *** لا يستساغ لمن دخل
فيها المصاعب جمة *** وبها المتاعب والكلل

وهكذا يمكن القول بأن في تجربة الشاعر معيتيق رصد للقلق الناتج عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية بوصفه مكوناً بنيوياً في تشكيل الخطاب الشعري، حيث تتجسد هذه التحولات عبر تفكك المرجعيات القيمية وصراع الذات مع أنماط العيش الحديثة، مما يضفي إلى خطاب شعري مأزوم يستنبط وعياً نقدياً بالواقع المتحول، وتُظهر اللغة توتراً دلالياً يعكس هشاشة الهوية في ظل تسارع التغيرات المجتمعية.

*** قلق مظاهر الحياة المدنية ومشكلاتها**

في خضم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي بدأ يشهدها المجتمع الليبي الحديث، تجلى القلق

من مظاهر الحياة المدنية في الأدب الليبي الحديث كصدى لصدام عنيف بين الموروث البدوي وقيم المدينة الوافدة، لم يكن هذا القلق مجرد رصد لمشكلات مادية كالازدحام أو تغير أنماط السكن، بل كان تعبيراً عن اغتراب الذات أمام تآكل منظومة القيم التقليدية، حيث تحولت المدينة إلى فضاء يجسد ضياع الهوية وتفكك الروابط الاجتماعية الأصيلة، ويتجلى ذلك في النصوص الشعرية والسردية عبر شخصيات مهمشة تتأرجح بين حنين إلى البساطة المفقودة وقسوة واقع مدني لم يستوعبها بعد، فتحولت الحريات الشكلية إلى قيود غير مرئية تهدد كينونة الفرد وتذوب في هوة سؤال الهوية: من نحن في هذا الفضاء المدني الجديد الذي تتصادم فيه النزعات الفردانية مع غياب الرؤية التخطيطية الشاملة؟ والتي تتجلى بشكل ملموس في مشكلات المرور الخانقة التي حولت الشوارع من ممرات للحركة إلى مساحات للصراع اليومي على المكان والزمان، والذي مثله الشاعر معيتيق في قصيدة (مشكلة المرور) التي وصف فيها حالة القلق الكبير من مشكلة المرور التي لم تحل في بعض السطور والكلمات (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤٣): -

إذا ما كنت ذا عقل كبير *** ففكر حول مشكلة المرور
وما جرت على الوطن المفدى *** من الآلام والنقد المرير
ومشكلة المرور لها قضايا *** فلا تنحل في بعض السطور
قد استعصت مشاكلها وجلت *** على كل المعقد من أمور
لها في كل منعطف مآس *** يشيب لهولها رأس الصغير

تتجلى الازمة الحضرية في ليبيا من خلال تشريح النص الشعري لمشكلة المرور التي تعد مؤشراً مركزياً على احتلال النظام المدني، حيث تتحول مشكلة المرور من مجرد ازمة يومية إلى رمز لفوضى الحياة الحديثة، وتقدم هذه الأبيات رؤية نقدية عميقة تتجاوز مجرد الوصف لتجعلها استعارة مركزية لقلق الإنسان المعاصر في مواجهة تعقيدات الحياة المدنية، وهنا ويبدأ الشاعر معيتيق بدعوة العقل الكبير إلى التأمل (ففكر حول مشكلة المرور) ما يرفعها من مستوى المشكلة اليومية إلى قضية فكرية وفلسفية تستدعي وعيًا وطنيًا، فهي تجر على (الوطن المفدى) آلامًا مريرًا ونقدًا لاذعًا، ثم يتعمق في طبيعة هذه الازمة مؤكدًا أنها ليست مجرد مسألة عابرة يمكن حلها ببضع كلمات (فلا تنحل في بعض السطور) إنما هي معضلة متجذرة (قد استعصت مشاكلها وجلت) تفوق في تعقيدها الكثير من الأمور الشائكة، ويصل القلق إلى ذروته في البيت الأخير، حيث يربط الشاعر بين مظاهر المرور المادية ومصائبها الإنسانية الفادحة، في كل منعطف يخفي مأساة مروعة تصل في شدتها إلى أن (يشيب لهولها رأس الصغير) ، وبذلك استطاع الشاعر أن يجعل القصيدة صرخة ضد العجز المؤسسي، وتعبيراً عن معاناة المواطن تحت وطأة واقع مفكك، وفي السياق ذاته يتناول ملمات ومصائب المرور في قصيدة أخرى بعنوان (ملمات المرور) وفيها يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٥٥) :

طبقوا القانون في كل الأمور *** تستريحوا من ملمات المرور
لتصونوا أنفسًا أوقعها *** في ظروف السوء أصحاب الشرور
والوساطات التي نشهدها *** شجعت قومًا على تلك الأمور
ما لهم لم يبذلوا الجهد إلى *** نصح من يسرع في سير نكير؟
ما لهم لم ينقذوا أرواحنا *** قبل أن تجتاحها لك النمور
ابذلوا يا قوم ما في وسعكم *** تنقذوا الأرواح من هول كبير

كما تناول شعر معيتيق مظاهر المدنية من زاوية نقدية يربط فيها بين التقدم العلمي ومآسي الإنسان، مستلهمًا من كارثة (هيروشيما) نموذجًا لفقدان القيم الأخلاقية في زمن الحداثة المادية، فبدل أن يكون التمدن طريقًا للارتقاء الإنساني صار طريقًا لدمار، صوره معيتيق كقوة عمياء جلبت المعاناة للإنسان، ومن خلال تجربته الشعرية في قصيدة (الإنسان والذرة) تجاوز حدود الوطن لينقل قلقًا إنسانيًا يتخطى الانتماءات الضيقة معبرًا عن ألم مشترك يهدد كينونة الإنسان، وكيف أصبحت الحضارة الحديثة في نظره مصدرًا للقلق لا للطمأنينة، وكيف أن التمدن أصبح لغزًا وجوديًا يهدد البقاء البشري، وفيه يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٣٤-١٣٥) :

قدح الإنسان فكره *** فبنى في الأرض ذره
أصغر الأشياء لكن *** بقيت في الكون عبره
ظهرت في أول القرن *** مع الأحداث غره
يا لها في الكون عبره *** إنها بالطبع ذره
أهلكت ما دب فوق *** الأرض في اليابان مره
وأحالت كل حي *** ميتًا يختم عمره
رحل اليابان من *** إشعاعها بدد صبره
إنه يذكرها بالسوء *** والذكرى من الآلام مره
بقيت في صحف *** التاريخ للباغي معره
وستبقى في سجل *** الكون للإنسان عبره

نستخلص من خلال تحليل بعض قصائد اجتماعيات معيتيق نصل إلى رؤية نقدية تكشف عن وظيفة الإبداع بوصفه استجابة واعية للتحولات، ووسيلة لإنتاج خطاب بديل يُعيد الاعتبار للبعد الإنساني، المتجلي في القلق كقوة إبداعية محركة، وليس مجرد انعكاس سلبي لتحولات المجتمع، فهو يصهر قلقه من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، وضجيج الحياة المدنية في بوتقة فنية فريدة ليحولها إلى رؤية فلسفية عميقة تتجاوز الشكوى إلى التساؤل عن جوهر الإنسان وهويته في خضم الحداثة، مقدمًا بذلك نافذة إبداعية لفهم أعمق لأزمات الإنسان المعاصر.

*** الرؤية الإبداعية والفكرية المنبثقة عن القلق**

تُعد الرؤية الإبداعية والفكرية لدى الشاعر معيتيق انعكاسًا لتوترات الواقع الاجتماعي وتجلياته النفسية، إذ يوظف الشاعر القلق الاجتماعي كمدخل لإنتاج خطاب شعري يتجاوز حدود التعبير المباشر إلى فضاءات رمزية ودلالية أعمق، فالشاعر لا يعبر عن هذا القلق بوصفه حالة شعورية فحسب، بل يُعيد تشكيله ضمن بُنى لغوية وأسلوبية تُفصح عن وعيه النقدي بمجتمعه، ومن هنا يمكن « أن نعد الإبداع تجاوزًا لكل القواعد الثابتة والقوانين الجامدة » (حمود، ١٩٩٧، ص١٣) ، إذ أن التجربة الشعرية الحقيقية تنبع من لحظة اضطراب وجودي تفرز أنساقًا لغوية تنحرف عن المألوف، وتُنتج صورًا بلاغية تتسم بالتكثيف والدلالة، ويأتي الرمز الشعري في هذا السياق بوصفه أداة تأويلية تُضمر المعنى، وتستدعي القارئ للمشاركة في إنتاجه، وبهذا المعنى لا ينفصل التعبير الجمالي عن البعد الفكري، إنما يشكل كلية فنية متكاملة، حيث تتضافر فيها اللغة، والصورة، والأسلوب، لتوليد بنية شعرية مشحونة بالقلق والوعي، « فالإبداع الأدبي في النتيجة لغة يمتزج فيها الخاص بالعام، والذات بالموضوع على نحو متميز يحمل بصمة الشاعر » (حمود، ١٩٩٧،

ص١٥) ، ويُعبر عن رؤيته للمجتمع من خلال تفاعل داخلي بين الذات المبدعة والسياق الثقافي والاجتماعي، ومن ثم يغدُو القلق الاجتماعي محفزًا بنيويًا يقوم بدور جوهري في تشكيل الرؤية الشعرية للشاعر، باعتباره مكون جمالي وفكري يتجلى في بنية النص وطرائق تشكله.

*** البعد النقدي والإصلاحي في الخطاب الشعري**

يمثل القلق الاجتماعي في الخطاب الشعري محركًا لرؤية إبداعية تتجاوز حدود الذات، فالشاعر لا يصوغ قلقه بمعزل عن محيطه، بل يجعله مرآة تعكس تطلعات مجتمعه وآلامه، من هنا يثبت « أن للأدب دورًا في حياتنا الاجتماعية، حيث إنه يمثل السجل المقروء الذي يحتوي خبرات أمتنا على مدار أكثر من خمسة عشر قرنًا من الزمن » (عبد الباري، ٢٠١١، ص٢٤) ، وانطلاقًا من ذلك فإن الأديب يغدو شاهدًا وناقدًا يحمل هم الإصلاح برؤية تتجاوز المباشر إلى الرمزي، بالتالي « لا يؤكد الأديب الخلاق رؤيته بالفكر وحده، بل بكل حواسه » (فتحي، ١٩٨٦، ص١٨٩) من خلال عملية محاكاة حسية للواقع الاجتماعي محولًا بذلك القلق من مجرد حالة شعورية إلى أداة تحليلية، وعليه فإن الرؤية الأدبية تتكامل مع الرؤية الفكرية والسيكولوجيا الاجتماعية، كما تتحقق الرؤية الإصلاحية حين ينجح الشاعر في تحويل قلقه الخاص إلى مرآة تعكس قلق الجماعة معبرًا بكل حواسه عن همومها، ومقدمًا رؤية تتجاوز الوصف إلى التحليل والنقد، مما يؤكد أن للأدب دورًا حيويًا في حياتنا الاجتماعية . من هنا تتجلى الرؤية النقدية لشاعر معيتيق المنبثقة عن القلق من خلال تشريحه لآفتين رئيستين تفسدان الجسد الاجتماعي هما (الثأر والربا) في قوله (معيتيق، ١٩٨٠، ص١١٠) :

والثأر يلعب في الحوادث دوره *** فتكًا وليس لأهله من هاد
أكلوا الربا فتضاعفت ثرواتهم *** وثراء هذا النوع أفظع زاد

في هذين البيتين يربط الشاعر بشكل لافت بين (اقتصاد العنف) المتمثل في الثأر، و (اقتصاد الاستغلال) المتجلي في الربا، فـــ (الثأر) رغم بدائيته يُصور هنا كقوة فاعلة لها دور في تشكيل الحوادث المجتمعية، لكنه دور سلبي ينتج الفتك، ويفتقر إلى الهداية والعقلانية، وهذا يكرس حالة من القلق الاجتماعي من سيطرة منطق الغاب على حل النزاعات، في المقابل ينتقل الشاعر إلى النموذج الحديث للاستغلال عبر (الربا) الذي ينتج ثراء سريعًا، لكنه ثراء ملوث أخلاقيًا، والتعبير بـــ (أكلوا الربا) يوحي بالجشع والابتلاع، بينما يصور (تضاعف الثروات) كنمو سرطاني غير صحي، والرباط الجوهري بين الظاهرتين يكمن في كونهما يعكسان أزمة القيمة في المجتمع؛ حيث يُستبدل معيار الخير والشر بمعيار القوة والثراء، ويكمن الانزياح الدلالي هنا في وصف الثراء بأنه (أفظع زاد) ، حيث يختزل قلب الرؤية النقدية للشاعر، فـــ (الزاد) الذي يفترض أن يكون سبب حياة يصبح هنا سبب هلاك وموت معنوي، هذا التناقض يولد أعلى درجات القلق الاجتماعي، فالخوف من فقدان البوصلة الأخلاقية، وتحول المجتمع إلى كيان مادي غريبي يُقدس القوة والمال بغض النظر عن مصدرهما أو ثمنها الأخلاقي، وينتقل الشاعر معيتيق إلى رصد حركة التخلف التي يعانيها الوطن

بسبب ضعف الاقتصاد، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٥٤):-

ما بالنا يا موطني *** ماذا جرى بين الأنام؟
إن الشعوب تقدمت *** لحضارة كبرى تقام
وعماد نهضتها الزراعة *** في الحروب وفي السلام
إن التأخر طعمه *** أقسى من الموت الزؤام
يفضي بمن يعلوه من *** أهم إلى درب الحمام
ويشوه التاريخ للشعب *** المناضل والعظام
لا تركنوا لتأخر *** إن الركون له حرام

يتأسس الخطاب الشعري في هذه الأبيات على بنية جدلية تكشف عن وعي نقدي حاد بقضايا التأخر الحضاري من خلال تشخيص ذاتي جماعي يستند إلى مقارنة تفاضلية بين واقع وطنه المتخلف والحضارات المتقدمة، ويستند الخطاب هنا إلى ثنائية التقدم/ التأخر التي تشكل العمود الفقري للرؤية الإصلاحية، ويتميز التشخيص ببعدين: البعد الحضاري الذي يتجلى في إبراز الزراعة كبنية تحتية استراتيجية للنهضة (عماد النهضة في السلم والحرب) ، والبعد الوجودي الذي يتجسد في تشخيص التأخر كمصير وجودي يوازي الموت، والانزياح الدلالي في (الموت الزؤام) ، كما اعتمد الشاعر على آليتين بلاغيتين هما: المقابلة بين تقدم الشعوب وتأخر وطنه، والتشخيص من خلال تحويل التأخر من حالة إلى فاعل مدمر (يشوه التاريخ) ، ويختتم الشاعر أبياته بدعوة صريحة ومباشرة تحمل طابع التحذير والتحريم إلى نبذ التكاسل والركون إلى واقع التخلف (لا تركنوا لتأخير ... إن الركون له حرام) ، وهو تحريم نابع من وعي ديني ووطني يجعل من السعي نحو التقدم واجبًا شرعيًا ومسؤولية تاريخية لا يمكن التهاون فيها، بهذه البنية المتكاملة يحول الشاعر القصيدة من مجرد شكوى للواقع إلى بيان نقدي إصلاحي يهدف إلى هزّ الضمير الجمعي وتحفيزه على الفعل.

كما تتجلى الرؤية الاجتماعية للشاعر معيتيق في تحويل المشكلة المرورية من مجرد مخالفات تنظيمية إلى قضية مجتمعية وجودية تهدد النسيج الأسري والاجتماعي، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤٣): -

ومشكلة المرور لها قضايا *** فلا تنحل في بعض السطور
فكم من أسرة نكبت وكانت *** تعيش بكد عائلها الكبير
دهته الحادثات وقد تردى *** وخلف صبية مثل الطيور
غدوا من هول نكبته يتامى *** فيا لله من سوء المصير
فمن يا قوم يمنحهم حنانًا *** ويكفيهم ملمات الدهور
وكم من دهسة حلت بطيش *** فأودت بالبراعم للقبور

ينطلق الخطاب النقدي الإصلاحي من خلال تشخيص دقيق للعواقب الوخيمة لحوادث المرور عبر توظيف الانزياح الدلالي الذي يحول المصطلح التقني (المرور) إلى مأساة إنسانية (نكبة، يتامى، قبور) ، فيقدم الشاعر من خلال ذلك مشروعه الإصلاحي عبر استراتيجية بلاغية مزدوجة بين صدمة الوعي الجمعي بالعواقب المأساوية، واستنهاض المسؤولية المجتمعية عبر نداءات تضامنية، كما تعتمد رؤيته الإصلاحية على مقاربة شاملة تدمج بين العلاج الوقائي (مكافحة التهور) والعلاجي (نظام الرعاية الاجتماعية) في إطار التكافل المجتمعي، هذا كما يوظف الشاعر الانزياح الزمني لبناء سردية درامية تكشف عن التحول الجذري من

الاستقرار الأسري (عائل كبير) إلى الانهيار الاجتماعي (صبية يتامى) ، من ثم يتحول الخطاب الشعري من الوظيفة الوصفية إلى مشروع إصلاحي قائم على تفعيل الثنائيات الضدية: التضامن في مواجهة التفكك، والوعي في مواجهة الطيش، وهكذا تتجاوز القصيدة وظيفتها الجمالية إلى وظيفة إصلاحية تهدف إلى تغيير الواقع المروري من خلال تغيير الوعي الجمعي معيدة الربط بين النظام المروري والأخلاق الاجتماعية.كما تنبثق رؤية الشاعر معيتيق الإصلاحية من موقعه كشاهد على واقع اجتماعي وسياسي متأزم، يعبر عنه من خلال قلقه العميق على مصير وطنه وشعبه، ولا يقدم الشاعر هنا مجرد وصفة انفعالية، بل يبني خطاباً شعريًا يحمل أبعاداً نقدية جريئة ودعوة ملحة للإصلاح، وفي ذلك يقول معيتيق، ١٩٨٠، ص٨٠) :

لقد عظمت بمواطننا الجراح *** وعضته النوائب يا صلاح

وهزته العواصف حين هبت *** كما عصفت بأوراق رياح

تحيط به المشاكل قاسيات *** وأخشى أن يكون به يطاح

تداس به الكرامة في نواح *** وليس لشعبه رأي متاح

تذبذب رأيه في غير جدوى *** وجانبه التقدم والنجاح

يبيع ضميره بالمال جهراً *** وليس لديه في هذا جناح

تمثل هذه الأبيات نموذجًا حيًا للشعر الإصلاحي الذي يتحول فيه القلق الاجتماعي لدى الشاعر معيتيق إلى خطاب فني مكثف لا يقتصر على التعبير عن الألم، بل يتعداه إلى تشخيص دقيق لأمراض السلطة والمجتمع وتفكيكها، محاولًا إيقاظ الوعي الجماعي ودق ناقوس الخطر كتمهيد ضروري لأي عملية تغيير حقيقية، والشاعر هنا هو ناقل للإنذار فقوله: (وأخشى أن يكون به يطاح) هو أكثر من مجرد خوف إنه تنبؤ وتحذير من العواقب الوخيمة لاستمرار هذا الوضع، إنه يضع السلطة أمام مسؤوليتها، ويوقظ الضمير الجماعي من سباته، ويفضح الآلية التي تعمل بها السلطة (البيع الجهر للضمير/ إلغاء الرأي) ، ومن خلال ذلك يحاول الشاعر كسر حاجز الصمت والتطبيل، ودفع المتلقي إلى إدراك عمق المأساة، وهو ما يُشكل الخطوة الأولى نحو المطالبة بالإصلاح.

نستخلص من خلال النماذج الشعرية السابقة أن شعر معيتيق يكشف عن وعي حاد بالقضايا الاجتماعية في عصره، حيث يعبر عن قلقه إزاء التحولات التي يشهدها المجتمع، ويوجه نقداً مبطنًا لبعض المظاهر السلبية من خلال لغة شعرية محافظة ورصينة، كما سعى من خلال ذلك إلى الإصلاح والتوجيه، داعيًا إلى التمسك بالقيم الأصيلة في مواجهة التحديات المستجدة في مجتمعه.

*** جماليات التعبير عن القلق**

تتجلى جماليات القلق في شعر معيتيق كبنية فنية مركبة حيث تتحول الطاقة النفسية المضطربة إلى بُنى لغوية متوترة وإيقاعات متقطعة، حيث يتم تجسيد هذا الشعور عبر صور استعارية مبتكرة تشخصن الهواجس الداخلية، وتُفعل الأساليب السردية والشعرية، مثل تيار الوعي والمفارقات البنيوية لخلق عالم نصي مواز يعكس تمزق الذات وحيرتها الوجودية، محولًا بذلك المعاناة إلى موضوع للتأمل الجمالي العميق، حيث يمكن تحليل هذه الجماليات من خلال محور اللغة والصورة والأسلوب.

*** جماليات اللغة (المفردات والتراكيب)**

تتحول اللغة في التعبير الشعري عن القلق من وسيلة ناقلة إلى كيان فاعل في تشكيل التجربة، حيث ينتقل الشاعر في تعبيره عن القلق من حالة الاضطراب النفسي إلى فضاء التشكيل الجمالي، فالشاعر لا يروي القلق بل يصهره في بوتقة الانزياح الدلالي والانزياح التركيبي، محولًا بذلك الإحساس المجرد إلى كيان لغوي ملموس، فـ « اللغة قوانين وأصول وتراث ثقافي يحمل موقفًا من الكون، ويعكس علاقات إنسانية معينة وتصنيفًا للأشياء؛ لذلك فإن الإبداع معركة داخل ساحة اللغة والموروث » (سعيد، ١٩٨٦، ص٩) ، وهنا تكمن براعة الشاعر حين يوظف هذا الموروث لصياغة قلقه بلغة تخرق المألوف دون أن تنسلخ عن أصالتها، وهكذا لا يصبح القلق موضوع القصيدة فحسب، إنما يصبح أيضًا منتجًا جماليًا ناتجًا عن صراع الخلاق بين الذات الشاعرة والنسق اللغوي الذي تتحرك ضمنه. وفي هذا السياق استخدم الشاعر شبكة من الصور اللغوية والتراكيب التي تعكس حالة من القلق العميق والاضطراب الاجتماعي، كما في الأبيات التالية (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٥٦- ١٥٧) :

ومستشفى بلا بنك الدماء *** كآنية تكون بلا غطاء
وقل إن شئت فهو كأي فحص *** يكون ولا يقود إلى الشفاء
وقل إن شئت فهو كلبس ثوب *** قصير لا يصون من العراء
بالأمس القريب نعت جموع *** وفاة حضينة ذات الوفاة
ومات جنينها موتًا فظيعًا *** يهد الصخر من وقع الرزاء
وكم من صبية صاروا يتامى *** بموت الأم في وقت الشقاء
وكم من أنفس ذهبت وكانت *** تؤدي دورها خير الأداء
إذا ساهمت في بنك الدماء *** وكنت على التبرع ذا سخاء
فأنت مواطن عملت يداه *** على إصلاح أمر الأبرياء

في هذه الأبيات ينتقي الشاعر مفرداته بعناية فائقة ليرسم لوحة قاتمة تعج بالقلق، فكانت السمة الأبرز فيها هي هيمنة النفي والفراغ (بلا بنك الدماء/ بلا غطاء) ، هنا يبدأ النص وينبني على (اللاوجود) وحرف (لا) ليس مجرد أداة نفي، بل هو إعلان عن فراغ كارثي، هذا الفراغ هو مصدر القلق الأول، فهو يفتح الباب أمام كل الاحتمالات السيئة، كما جاء قوله: (لا يقود إلى الشفاء/ لا يصون من العراء) هنا النفي لا يقتصر على غياب الشيء، بل يمتد إلى غياب الوظيفة والغاية، فالفحص الذي لا يشفي، والثوب الذي لا يستر كلاهما يعمقان الشعور بالعبثية والعجز، وهما من المكونات الأساسية للقلق الوجودي، لكن هنا تتصاعد حدة المعجم لتصل إلى ذروتها مع مفردات الموت والفقد كـ (وفاة، مات، يهد الصخر، يتامى، ذهبت) هذه الكلمات لا تذكر بشكل عابر بل تبنى حولها صور مأساوية (موت الجنين الفظيع، الأطفال اليتامى) ، مما يحول القلق من مجرد شعور داخلي إلى حقيقة اجتماعية مدمرة، فكلمة (يهد) على وجه الخصوص تجسد عنف الصدمة وقسوتها التي تتجاوز قدرة التحمل البشري، كما برع الشاعر في استخدام الأفعال المضارعة ليسرد وقائع حدثت كـ (تكون، يقود، يصون) هذه الأفعال تصف حقيقة قائمة ومستمرة، فالمستشفى (يكون) الآن بلا حماية، والفحص (يقود) دائمًا إلى لا شيء، وهذا بدوره يغرس في نفس المتلقي شعوراً بأن الأزمة ليست عابرة بل مستمرة، وجملة (يهد الصخر) استخدم المضارع هنا يجعل فعل (الهدم) مستمراً، كما يستخدم الشاعر صيغة

المضارع (تؤدي) ليصف دورها قبل الموت، مما يخلق مفارقة حادة بين حيويتها الماضية وفقدانها الحاضر، وهذا يُعمق الشعور بالخسارة، وقوله: (وقل إن شئت) هذا التركيب الذي يتكرر مرتين يحمل في طياته مزيجًا من السخرية المريرة واللامبالاة الظاهرية التي تخفي ألمًا عميقًا، وهو شكل من أشكال التعبير عن القلق المكبوت، أما قوله: (إذا ساهمت ... فأنت مواطن ..) هنا ينتقل الشاعر من عرض المشكلة إلى تقديم الحل، فاستخدام أسلوب الشرط (إذا ... فـــــــ ...) هو أسلوب تحفيزي مباشر، وفي هذا التعبير يتحول القلق إلى طاقة دافعة للفعل .كما برع الشاعر في التعبير عن القلق عبر تراكيب اللغة ومفرداتها، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٣٨):-

فالظلم يجتاح البرية كلها *** ونصيره لذوي الضمير معادي
والبغي في جل النفوس مجسد *** ودسائس الأشرار والأوغاد
والحق مكسور الجناح محطم *** أهلوه بين الناس في إجهاد
حنت له منذ القديم نفوسهم *** وبه تعلل في الحياة منادي
منذ القديم الناس لم يتمتعوا *** بالحق إلا في غمار جهاد

تتجلى جماليات اللغة في هذه الأبيات الشعرية من خلال توظيف الصور العنيفة المثيرة للقلق، مثل (الظلم يجتاح / البغي مجسد / الحق مكسور الجناح) التي تعكس حالة الاضطراب والتهديد، بينما نجد المفردات الموحية بالقلق تشمل (اجتاح، معادي، دسائس، الأشرار، الأوغاد، مكسور، محطم، إجهاد) ، مما يعمق إحساس التهديد والضعف، كما نجد الأفعال المضارعة (يجتاح، تعلل، يتمتعوا) كلها تظهر استمرارية حالة القلق وحيويتها في الحاضر، بينما تبرز الأساليب الإنشائية الطلبية بشكل غير مباشر من خلال التوجع والنداء الكامن في (حنت له نفوسهم) و (تعلل منادي) ، مما يعكس توقًا طلبيًا للخلاص، وهذه التركيبة اللغوية تخلق تناغمًا بين القلق الجمالي والواقع المرير، والنص بتراكيبه المكثفة وصوره القاتمة يرسم مشهدًا إنسانيًا مفعمًا بالتوتر والأسى.

*** جماليات الصورة**

يتحول التعبير عن القلق في اللغة إلى لوحة فنية بديعة، حيث لا يعود مجرد شعور بل يصبح كيانًا متشكلًا في الذهن، فـــ « الصور الشعرية معطى كوني تشكله المخيلة والعقل، ينتقي لها المبدع الأداة التعبيرية التي تشخصها ضمن حشد هائل من الوسائل التعبيرية » (بوراوي، ٢٠١٦، ص١٧٠) ، فتارة يرسم القلق كليل طويل لا فجر له، أو كطائر حبيس يضرب قضبان صدره بجناحيه، وفي مرحلة التشكيل تخضع الصورة لعمليات انتقاء دقيقة على المستويات المعجمية والإيقاعية، إضافة إلى أنماط التأليف النحوي والدلالي بما يضمن انسجامها مع البنية الدلالية العامة للنص، وتؤدي « الصورة الحديثة دورها المتميز الذي لا يستهان به في البناء العضوي للقصيدة، فضلًا عن قيمتها المعنوية وقدرتها على الكشف، وإشاعة التجانس، والتلاؤم في القصيدة كلها » (صالح، ١٩٩٤، ص١٤٩) ، مما يجعلها أداة مركزية في تمثيل الانفعال الشعوري، وتكثيفه ضمن بنية لغوية متماسكة، وهنا ينتقل التعبير من المباشر إلى المجازي فيصبح القلق كائنًا حيًا أو مشهدًا طبيعيًا أو كتلة مادية محسوسة يعبر عنها بالكلمات والصور، وفي هذا الصدد يعبر الشاعر معيتيق في قصيدة (بنك الدم) عن القلق من خلال سلسلة من الصور التشبيهية المتتالية

التي ترسم مشهدًا متشائمًا، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٥٦): -

ومستشفى بلا بنك الدماء *** كآنية تكون بلا غطاء

وقل إن شئت فهو كأي فحص *** يكون ولا يقود إلى الشفاء

وقل إن شئت فهو كلبس ثوب *** قصير لا يصون من العراء

في هذه الأبيات يوجد تشبيهات متتالية، فنجد في البيت الأول تشبيه تمثيلي، فاختيار (المستشفى) كصورة أولى هو اختيار عبقري للتعبير عن القلق، فالمستشفى هو مكان الأمل والشفاء، لكن بترع (بنك الدم) منه يتحول إلى مكان للعجز والموت المحقق، وهذا يخلق شعورًا حادًا بالخطر الوشيك والعجز عن مواجهته، أما في الشطر الثاني نجد صورة (الآنية بلا غطاء) تعزز هذا المعنى وتضيف إليه بعدًا آخر، فالآنية المفتوحة تكون عرضة لكل ما هو خارجي من (غبار/ حشرات/ تلوث) ، فهي تفقد وظيفتها الأساسية في الحفظ والصون، هذه الصورة تعكس شعور الشاعر بالانكشاف وفقدان الحماية والأمان، أما في البيت الثاني يشبه (هو) الحالة المبهمة بفحص طبي لا يؤدي إلى نتيجة شافية، هذه الصورة تنقل القلق من مستوى (العجز عن الفعل) إلى مستوى (عبثية الفعل) هنا يتم بذل الجهد (الفحص) ، ولكن النتيجة صفرية مما يعكس قلقًا وجوديًا أعمق، قلق من أن كل محاولات البحث أو العلاج هي مجرد دوران في حلقة مفرغة لا تقود إلى أي خلاص، والفعل (لا يقود إلى الشفاء) هو جوهر الصورة، أما في البيت الثالث تجمع الصورة بين فكرتي (الانكشاف) من البيت الأول، و (العبثية) من البيت الثاني، وصورة الثوب وظيفته الستر، لكن هذا الثوب (قصير) ، أي أنه يقوم بوظيفته بشكل ناقص ما يجعله بلا قيمة حقيقية، وتأتي لفظة (العراء) قوية جدًا في التعبير عن الشعور بالضعف والفضيحة، والشاعر هنا برع في بناء حالة القلق بشكل تصاعدي عبر تكرار صيغة التشبيه (كـــ) هذا التكرار ليس مجرد حشو، بل هو أسلوب فني يعكس إحاطة القلق بالشاعر من كل جانب، فكلما حاول تعريفه وجد له مثالًا جديدًا من العجز والنقص.

كما برع الشاعر معيتيق في رسم لوحة فنية تعكس صراعًا بين قيمتي الوحدة والفرقة، وذلك من خلال بناء درامي متسلسل يعتمد على الانزياحات البلاغية والصور المركبة، ومثال ذلك قوله (معيتيق، ١٩٨٠، ص٢٤): -

ما بالهم بعد الوئام تفرقوا *** ونأوا عن النهج القويم وأخفقوا

أمل تبدد والفؤاد لأجله *** أضحى على مرّ الزمان يمزق

لو أن من نثروا العقود تريثوا *** حتى تجمع شملنا وتحققوا

لرأوا عدو الشر في أرجائه *** كالحوت يرقص في التراب وينفق

لكنهم هدموا عظيم حصونهم *** بفعالهم وإلى الحضيض تزحلقوا

يظهر البيت الأول تناقضًا دراميًا عبر التقابل بين (الوئام) و (تفرقوا) مما يخلق صورة ذهنية مفعمة بالمفارقة، هذا التقابل يشير إلى الانزياح عن النظام الأخلاقي عبر التركيب اللغوي (نأوا عن النهج القويم) ، حيث يصور الانحراف كمسافة مكانية (نأوا) تضفي على المعنى التجريدي بعدًا حسيًا، وفي البيت الثاني تتحول فكرة العلاقات الإنسانية إلى صورة مادية ملموسة عبر استعارة (العقود) التي (نثروها) ، مما يجعل عملية التفكك اجتماعيًا تبدو كفعل تدميري لإطار جمالي متماسك، وتكمن جمالية هذه الصورة في تحويل المجرد إلى محسوس، بينما يحمل الفعل (نثروا) دلالة الإهمال وعدم الاكتراث، في حين تمثل الصورة في البيت الثالث ذروة

الانزياح عن المألوف، حيث تصور هزيمة العدو عبر مشهد غير مألوف يجمع بين عناصر متنافرة (كائن بحري في بيئة برية) ، هذا الانزياح يخلق تأثيرًا صادمًا يجسد حالة العدو الذي فقد قدرته على الفعل في بيئته الطبيعية، فصار (كالحوت يرقص في التراب) – حيث يحمل الفعل (يرقص) سخرية مريرة، بينما الفعل (ينفق) يضفي دلالة الفناء المادي والمعنوي، بينما يقدم البيت الأخير صورة معمارية دالة على السقوط عبر الفعل (هدموا) الذي يحول البناء الاجتماعي إلى انقاض، وتكتمل الصورة بحركة الانزياح إلى (الحضيض تزحلقوا) التي توحي بالهبوط التدريجي غير المباشر، مما يضفي على السقوط طابعًا تراجيديًا مأساويًا.

*** جماليات الأسلوب**

يتجلى القلق في النصوص الأدبية كطاقة شعورية خفية تنفذ عبر جماليات الأسلوب لتُعيد تشكيل اللغة وتكسر نمطيتها، فيغدو التعبير ضربًا من التوتر الفني المشحون بالإيحاء، والقلق بوصفه حالة نفسية معقدة ينساب إلى النص الأدبي ليشكل بعدًا جماليًا عميقًا ينعكس في اضطراب النظم، وتوتر الإيقاع، إنه لا يفصح عن ذاته تصريحًا، بل يتجلى من خلال الإنزياحات الدلالية والإنزياحات الأسلوبية التي تُعيد تشكيل الواقع بلغة مشحونة بالوجد والارتباك، وحين يتجسد القلق في التعبير فإنه يدفع بكاتب النص إلى تجاوز المألوف نحو المجاز والتكثيف، فيتماهى المعنوي بالمحسوس والمحسوس بالمعنوي، وهو ما يجعل «الأسلوب الأدبي هو الأسلوب ذو الخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنوي في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي » (وهبه/ المهندس، ١٩٨٤، ص٣٥) ، ومن هنا فإن الاسلوبية « هي علم لساني يُعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة » (المسدي، د.ت، ص٥٦) ، مما يجعل من القلق محفزًا جماليًا لإبداعية الأسلوب وتحولاته. فمثلا في قصيدة (الريف) التي تجسد قلقا اجتماعيا مضمرا يطفو على السطح من خلال صوت جماعي حزين يصف أزمة السكن والمعيشة في المدينة، وفيها يقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٣٠-١٣١): –

وحياة أحياء المدينة *** دائمًا فيها العطل
تأجير بيت في المدينة لا *** يقاس بما حصل
فيها من الأرزاء والأحداث *** ما يعي البطل
فإذا سكنت اليوم في *** حي فحتمًا ترتحل
فالدخل مهما كان لا *** يكفي لأجر مفتعل
وطوائف الجيران تأسف *** للذي بالجار رحل
بالأمس قد سكن الفقير *** وإنه اليوم انتقل
لم يستطع دفع الاجار *** ولم يوفق للعمل
والواصل المكتوب في *** يده النحيفة لم يزل

في هذه الأبيات نجد تكرار لفظة (المدينة) في البيتين الأول والثاني ليس تكرارًا حرفيًا إنما هو تكرار يخلق إحساسًا بالحصار، كما أن تكرار كلمة (أجر) في البيت الثاني والخامس والثامن توحي بالعبثية، وتصريفات الفعل (سكن) مثلما في كلمات (سكنت، سكن) يخلق نبضًا متوترًا، حيث تتحول مأساة السكن في المدينة إلى لوحة تعبر عن القلق الاجتماعي بإيقاعه المأساوي، فيبدأ النص بتناقض صادم من خلال (وحياة أحياء المدينة ... دائمًا فيها العطل) ، فالحياة نفسها معطلة وهذا انزياح دلالي يضعنا في جو الأزمة، كما تأتي الانزياحات

فتكشف زيف المنطق الاقتصادي، كما في قوله (لا يكفي لأجر مفتعل) والجيران (طوائف) متشرذمة وهنا تصور تفكك الروابط الاجتماعية، وتنتهي المأساة بأقوى الانزياحات البصرية في صورة (والواصل المكتوب في يده النحيفة لم يزل) ، حيث تختزل (اليد النحيفة) كل مأساة القلق والهزال الاجتماعي في لحظة تجمد درامية مؤكدة أن النص قد حول القلق من موضوع إلى لغة إبداعية تشريحية، ولكن رغم بساطة لغة هذه القصيدة إلا أنها نجدها محملة بطاقة رمزية قوية، فالشاعر هنا قد بنى شعريته من الاحتكاك المباشر بالواقع من خلال تحويله إلى مشهد شعري مأساوي عميق، وهكذا يصبح القلق استراتيجية إبداعية تتحول المعاناة من خلاله إلى رؤية فنية تخلق جماليتها الخاصة من رحم القبح، وتبرز قدرة الشاعر على تحويل الألم اليومي إلى صورة فنية خالدة تفضح النظام، وتكشف عن هشاشة الإنسان في مواجهته. كما نجد في قصيدة (الموظف) كيف حول الشاعر المعاناة المالية للموظف إلى دراما وجودية تتجاوز مجرد الشكوى المادية إلى سؤال عن معنى الحياة في ظل نظام اقتصادي طاحن، فيقول (معيتيق، ١٩٨٠، ص١٤٧- ١٤٨) :

افتح على الموظف يا رب ميزاب الذهب
راتبه لم يكفه وأمره أمر عجب
إن زادت الدولة في الراتب يزداد التعب
أو نقص الراتب فالأمر خطير المنقلب
نهب الدائن من راتبه ما قد نهب
وتداعى بعده الخضار في دين وجب
هكذا بحبابنا مولى الوظيف المرتغب
يا لها مشكلة جلت على مولى السبب
وغدا المرء بها في حيرة بين العرب

البيت الأول يقدم مفارقة لفظية عميقة (افتح على الموظف يا رب ميزاب الذهب) فكلمة (ميزاب) توحي بالتدفق لكنها مقترنة بـــ (الذهب) الذي يمثل القيمة، وهذا الانزياح الدلالي يرمز للاغتراب – حيث يجد الموظف نفسه في تدفق مستمر للقيمة المالية دون أن يتمكن من الاحتفاظ بها، ثم تتبع القصيدة بنية دائرية تعكس استمرارية القلق كما في (الراتب لا يكفي) ، وتأتي الزيادة بطاقة تعب في حين يأتي النقصان بخطر الانهيار، هذه الدائرية المفرغة تخلق تأثيرًا سيكولوجيًا يشبه الحلقة المفرغة، كما يتميز الأسلوب هنا بتشخيص العمليات الاقتصادية المجردة مثلما في البيت الخامس (نهب الدائن من راتبه ما قد نهب) ، حيث يصبح (الدين) كائنًا مفترسًا و (الراتب) ضحية هذه الاستعارة التحويلية تخلق مسرحًا دراميًا تجسد عليه القوى الاقتصادية أدوارًا حية، مما يخلق إحساس القارئ بالتهديد المالي، في حين نجد التضاد بين (المرتغب/ المرغوب) ففي عبارة (مولى الوظيف المرتغب) تحمل معنى الطمع والرغبة في الزيادة، لكنها في هذا السياق تصبح سخرية مريرة – فالموظف لا يطمع في الغنى بقدر ما يطمع في البقاء، وهذا التضاد بين الدلالة الأصلية للكلمة وواقع الحال يخلق توترًا شعريًا يعبر عن جوهر القلق، كما استخدم الشاعر هنا اللغة اليومية البسيطة التي حولها إلى أداة فنية من خلال بناء تراجيدي متسلسل: البطل (الموظف) يواجه صراعًا مع قوى متعددة (الدولة – الدائن – الخضار) هذا التحويل الجمالي للسرد العادي إلى ملحمة مصغرة يعطي

المعاناة اليومية بعدًا دراميًا، كما جاء التكرار في كلمات مثل (الراتب، والتعب، والأمر) ما يخلق إيقاعًا يشبه دورة الديون المتكررة، هذا التكرار لا يعزز الموسيقى الشعرية فحسب، بل يخلق تأثيرًا نفسيًا من الإرهاق واليأس.

يمكن القول أن التعبير عن القلق تجلى في النصوص الشعرية بوصفه تجربة وجودية تصاغ عبر جماليات اللغة التي تنحت المفردة لتكشف هشاشة الإنسان والمجتمع، وجماليات الصورة التي تجسد التوتر الداخلي في مشاهد حسية متخيلة، وجماليات الأسلوب التي تعبر عن اضطراب الرؤية وسؤال المصير، ووفق الرؤية الاجتماعية للشاعر لا يعبر القلق عن حالة فردية فحسب، بل يصبح مرآة تعكس اهتزازات المجتمع وتحولاته، مما يمنح الشعر طاقة ابتكارية تُعيد تشكيل الواقع بلغة قلقة ومكثفة، بالتالي نخلص إلى أن جماليات القلق في شعر معيتيق تمثل تحولًا من شعرية التعبير إلى شعرية المقاومة، من ثم يصبح النص الشعري فضاء لإعادة بناء الذات في مواجهة التفكك.

*** خاتمة**

يعالج ديوان رياحين لشاعر معيتيق في اجتماعياته القلق الاجتماعي بوصفه محركًا بنيويًا للتجربة الشعرية، حيث تتجسد أبعاد هذا القلق على مستوى الذات الفردية من خلال إحساس بالغربة وتصدع المنظومة القيمية في ظل تآكل المعايير الأخلاقية وتراجع مركزية الإنسان، كما يظهر قلق اجتماعي أوسع يتمثل في فقدان التكافل وتفكيك الروابط المجتمعية، ما يعكس أزمة وجودية ومعنوية حادة، ويتعمق هذا القلق بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة التي تُنتج مظاهر حياة مدنية مضطربة يغلب عليها التشيؤ والاغتراب، وينطلق الشاعر من هذا الواقع برؤية نقدية تتجاوز الرصد إلى استشراف أفق إصلاحي يسعى إلى مسألة الانهيارات القيمية وإعادة إنتاج المعنى، وتترجم هذه الرؤية إبداعيًا عبر جماليات تقوم على اللغة المشحونة، والصورة المركبة، والأسلوب والإنزياح الدلالي، بما يضفي على النص الشعري بعدًا تأويليًا يعكس عمق القلق ومركزيته في تشكيل الوعي الشعري المعاصر.

*** التوصيات**

اقتراح دراسات مقارنة بين رؤية الشاعر معيتيق ورؤى شعراء آخرين تناولوا القضايا الاجتماعية للمجتمع الليبي.

*** المراجع**

بدوي ، أحمد زكي ، (١٩٧٨) ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان.

البشتي ، غادة محمد ، (٢٠١٨) ، الاتجاه الرومانسي في الشعر الليبي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي– ليبيا.

حمود ، ماجدة ، (١٩٩٧) ، علاقة النقد بالإبداع الأدبي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق– سورية.

الحميري ، عبد الواسع ، (١٩٩٩) ، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان.

سعيد ، خالدة ، (١٩٨٦) حركية الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان.

السوسي ، حسن ، (١٩٨٧) ، ديوان نوافذ ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا.

صالح ، بشرى موسى ، (١٩٩٤) ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– الدار البيضاء.

عبد الباري ، ماهر شعبان ، (٢٠١١) ، التذوق الأدبي: طبيعته– نظرياته– مقوماته– معاييره– قياسه ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، عمان– الأردن.

فتحي ، إبراهيم ، (١٩٨٦) ، معجم المصطلحات الأدبية ، دار التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقس– تونس.

أبو ماضي ، إيليا ، (د.ت) ، الديوان ، دار العودة ، بيروت – لبنان.

المسدي ، عبد السلام ، (د.ت) ، الأسلوبية والأسلوب ، الطبعة الثالثة منقحة ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس– تونس.

معيتيق ، محمد عبد الله ، (١٩٨٠) ، ديوان رياحين ، الطبعة الأولى ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت– لبنان.

نصر ، قريرة زرقون ، (٢٠٠٤) ، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان.

وهبه ، مجدي / المهندس ، كامل ، (١٩٨٤) ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، الطبعة الثانية منقحة ومزيدة ، مكتبة لبنان ، بيروت– لبنان.

وهبه ، مراد ، (٢٠٠٧) ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر.

بوراوي ، مليكة ، (٢٠١٦) ، من جماليات الإيقاع في الصورة الشعرية: دراسة تطبيقية ، مجلة المخبر ، العدد: ١٢ ، بسكرة– الجزائر ، ص ص ١٦٩– ١٨٩ .